

أضواء البيان

@ 59 @ وقوله تعالى : { أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ لَمْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدَى مَنْ يَشَاءُ } . .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَايَهُ وَكَيلاً } ، استفهام إنكار فيه معنى النفي . .

والمعنى : أن من أضلّه اللّٰه فاتّخذ إلهه هواه ، لا تكون أنت عليه وكيلاً ، أي : حفيظاً تهديه وتصرف عنه الضلال الذي قدّره اللّٰه عليه ؛ لأن الهدى بيد اللّٰه وحده لا بيدك ، والذي عليك إنما هو البلاغ ، وقد بلاّغت . .

وهذا المعنى الذي دلّّت عليه هذه الآية الكريمة ، جاء موضحاً في آيات كثيرة ؛ كقوله تعالى : { إِنْ زُيِّنَ لَكَ تَهْدِي مَنْ أَهْدَىٰ وَتَضِلُّ مَنْ يَضِلُّ } . . وقوله تعالى : { إِنْ تَحَرَّصَ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِي مَنْ يَضِلُّ } ، وقوله تعالى : { أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ } ، وقوله تعالى : { أَفَأَنْتَ تُكْرِهُهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوَفِّيَهُمْ إِلَّا بِإِذْنِ اللّٰهِ } ، وقوله في آية (فاطر) المذكورة آنفاً : { فَإِنْ لَمْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدَىٰ مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ } ، وقوله تعالى في آية (الجاثية) المذكورة آنفاً أيضاً : { فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللّٰهِ } ، والآيات بمثل ذلك كثيرة ، والعلم عند اللّٰه تعالى . { أَمْ تَحْسَبُ أَنْ } . . أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ؟ كَلَّا لَا تَتْلُوهُمْ إِلَّا كَقِصَّةِ الْآيَةِ الْكُرْآنِ . { أَمْ } ، في هذه الآية الكريمة هي المنقطعة وأشهر معانيها أنها جامعة بين معنى بل الإضرابية ، واستفهام الإنكار معاً ، والإضراب المدلول عليه بها هنا إضراب انتقالي . .

والمعنى : بل { تَحْسَبُ أَنْ } أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ؟ أي : لا تعتقد ذلك ولا تظنّه ، فإنهم لا يسمعون الحق ولا يعقلونه ، أي : لا يدركونه بعقولهم : { إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ } ، أي : ما هم إلا كالأنعام ، التي هي الإبل والبقر والغنم في عدم سماع الحق وإدراكه